

أقصوستان ايطاليتان

LA LICENZA
STEFANO TERRA

الإجازة

كان ليوبولدو كريبا الضابط بمرتبة كابتن في فرقة المشاة راقداً ينتظر هبوب نسيم المساء كي يستطيع القيام بالسير دائراً خمس مرات حول حواجز المعتقل ، مما يساعده على النوم ، وإذا به يرى أمامه الجندي جوفاني جاربرولو القائم على خدمته .

قال الجندي في صوت سريع : إني أثبت حضوري يا سيدي الكابتن . وأخذ الضابط يجلس على سريره الصغير وقد تأثر بذلك الصوت المرتفع الحشن ، ثم أخذ ينظر في هدوء فاحصاً الجندي ، فاذا به واقف وقفة الانتظار منتصب القامة ، وهو أمر غريب في هذا المعتقل النائي ببلاد الهند . وجال بخاطره أن الجندي يريد المزاح ، وهمّ بأن يطلب منه أن يدع المزاح جانباً ، عندما رأى جوفاني جاربرولو يكرر ، دون أن يتحرك عن موقف الانتظار ، وهو رافع الرأس ، والعينان محدقتان إلى الأمام ، وهو يقول : « إني أثبت حضوري يا سيدي الكابتن » .

كان الصوت في هذه المرة أكثر ارتفاعاً ، وأعمق منه في المرة السابقة ، وقد ذكره بأنشودة قديمة كان ينشدها الجنود ، ولكن لم يعد أحد ينشدها منذ سنوات ، وانشغل خاطر الضابط فوقف وهو يفرك عينيه التعبتين من الضوء الذي كان ينفذ من بين قماش الخيمة الملتهب من أشعة الشمس ، وظل الجندي واقفاً دون أن يتحرك وذراعا الطويلتان ممدودتان إلى جانب سرواله وهو من قماش لا يعرف نوعه ، وقد ضم قدميه في حذاءهما الذي قدمته السلطات ،

وربت الضابط على كتفه بحركة أبوية وتحدث إليه في لهجة عاسية قائلاً: «جوفانين ماشكايتك تحدث! جوفانين لا تقف هكذا جامداً فان ذلك متعب لك. إن الأكل الذى يعطيه لنا هؤلاء الانجليز . . . » ولكنه لم ينه عبارته ، فقد شعر بانتقباض في قلبه عندما رأى عن كئيب عيني الجندى جوفانى جار برولو الجامدتين ، ففيهما ذلك الضوء اللامع نفسه ، وذلك الانحدار نفسه ، الذى كان يبدو فى أعين أولئك الجنود الآخرين الذين أصيبوا بالجنون فى هذه الشهور الطويلة ، فى ذلك المعتقل للأسرى السحيق ، فى تلك الجهة النائية من قلب الهند ، وود لو استطاع أن يضمه بقوة ليحميه من ذلك الضوء الذى نفذ إلى عينيه ، والذى يؤثر الآن فى قلبه ، ولكنه لم يستطع إلا أن يقول فى صوت أجش : «جوفانين ! لتكن قويا ! إن الحرب قد انتهت ، وسنذهب إلى تورينو وأن والدتك ... » ولم يعرف كيف يتم العبارة ، وعلى وجه الجندى الجامد بدأت الدموع تتناثر فى حين أخذ فجأة يغنى فى صوت حزين :

إنى أثبت حضورى أيها الكابتن

إنى أثبت حضورى

إنى أثبت حضورى

إذ أريد الذهاب فى إجازة

إذ أريد الذهاب

أخذ الضابط وجه الجندى بين يديه وقبله على خديه كما يقبل أخاً ، وحاول أن يحمه على النظر فى عينيه ، ولكن جوفانى جفل فجأة كما يجفل الجنود العصبي ، ودار على نفسه دورة عسكرية ، وأخذ يمشى بتلك المشية التى يسير بها الجنود قاصدين الباب عندما يسمح لهم بالانطلاق والخروج . وبعد تردد لحظات اندفع الضابط إلى خارج الخيمة ، ولم يكن قد تقرر لديه هل يجرى ليذعو أحداً من المستشفى الانجليزى البعيد ، حيث يعمل أيضاً بعض الأطباء من فرقته ، أو يجرى وراء الجندى الذى سار قاصداً الحواجز فى نهاية المعتقل . على أنه أخذ يصيح منادياً: جوفانين ! جوفانين ! لى يكتسب بعض الوقت ، ولكن الجندى لم يهدى من مشيته . وفكر الضابط فجأة أنه من

الواجب وقف الجندي بأى ثمن قبل أن يصل إلى الخواجز ؛ لأنه إذا وصل إلى تلك الأسلاك الشائكة التي تحد من المعتقل ، فإن الحارس الهندي بعد صيحة إنذار غريبة ، سيستعمل سلاحه « كما تقضى الأوامر » وهذا ما حدث فى مرات سابقة .

وبلغ إلى جانب الجندي وحاول أن يقبض على ذراعه وأمسك بيده لكي يحول بينه وبين المضي ، ولكن الجندي وقد تملكته قوة عجيبة ، تابع السير دون أن يسمع كلمة من ضابطه . وكان كلام هذا الضابط توصلات سريعة وحزينة كما زادا اقتراباً من الأسلاك .

وعلى بعد نحو عشرة أمتار من البرج الذى يقف فيه الحارس أخذ الضابط وقد تملكه اليأس يصيح لكي يلفت نظر الجندي الهندي ، وكان يردد الكلمة الوحيدة التي يعرفها بالانجليزية « صديق ! صديق ! » ولكن الهندي قام من جلسته وبنديقيه فى يده وأخذ يتبع بنظره الأسير الايطالى الذى كان يسرع الخطى نحو موقعه . وجلس الضابط فى يأس على الرمال وهو يتابع بعينيه حركات الحارس الذى كان يسند طرف البندقية القصيرة فى حركة بطيئة إلى كتفه ويسدد فوهتها وهو يتبع الخطوات الأخيرة لجوفانين تحت برجه . وفكر الضابط « فى هذه المرة سيقتلون حتى بغير أن يندروا » ، ورفع بغريته يديه إلى عينيه .

كان قلب الضابط ينبض بسرعة ولكن لم يقطع صوت طلقة الهندي . ربما لم تمر عليه غير ثوان قليلة ثم فتح عينيه ولكن لم ير الجندي لأول وهلة ، وبدا لخاطره أنه استطاع أن يقفز بمرونة الغزال الشريد . ولكنه عاد يطيل النظر فإذا به يرى الهندي يسير فوق الرصيف المرتفع ، ولم يتبين له لماذا ظل الأسير مطلقاً كما يقول الحربيون . وجال بخاطر الضابط أنه ربما بدا له أن يطعنه بسلاحه ، وأخذ يحاول لفت نظر الهندي بالصياح ولكنه كان متأخراً لأن جوفانين هرع إلى رصيف الهندي فإذا كان أمامه وقف ورأسه مرتد إلى الخلف . لم يكن من السهل على الضابط أن يتتبع ما هو حادث فى ذلك البرج ؛ فقد كانت الشمس الغارية ترمى شعاعها على عينيه فتمتلئ العينان بالدسوع لانعكاس الأشعة الحمراء . ثم ما كان أشد دهشته إذ كان يرى كلاماً يدور بالإشارات بين الحارس القبايض على سلاحه بيده وبين ذلك الجندي الأسير ، وأخذ يسأل نفسه : « ولكن بأية لغة يتفاهم الاثنان ؟ » وذلك ليطمئن نفسه على أن الخطر

قد تباعد ، ومع ذلك رأهما وقد تقدما معاً كأنهما يجدان رغبة في هذا الحديث . وأخيراً غابت الشمس في سرعة فيما وراء غابة قريبة . واستطاع الضابط أن يشهد الرجلين على الرصيف وكأنهما قد جلسا القرفصاء . وأخرج جوفانين من محفظة أوراقه بعض الصور الفوتوغرافية ، وأخذ الهندى يحدق فيها باهتمام وعطف . وسر ليوبولدو كريبا بيده على جبهته عدة مرات وقرر أن يذهب ويضع رأسه تحت نافورة الماء في المعتقل .

وفي هذه الليلة لم يقيم بدوراته الخمس التي اعتادها حول المعتقل ؛ فقد كان متعباً . وعندما عزم على النوم رأى الجندى جوفانى جار برولو يدخل إلى خيمته وعلى وجهه تلك الروح العادية المرحية .
سأله الضابط : كيف حالك يا جوفانين ؟

أجاب الجندى : « لقد كنت أشعر بتعب شديد في رأسي بعد ظهر هذا اليوم. » ثم أضاف قبل أن يخرج : « جئت فقط لأرجو لك ليلة سعيدة يا سيدي الضابط » .

سفاو تيرا

LA FERITA NEL VENTRE

STEFANO TERRA

الجرح في البطن

أصيب الجندى فاسكو دلاتورى بجرح في بطنه ، فأطلق لنفسه وقتاً قليلاً عنان الشكوى والحين إلى أسرته ، وهي تعالته لنسيان هذا الجرح . ولكنه نظر أخيراً إلى ثيابه العسكرية وقد تمزقت فيما تحت قلبه بقبضة يد ، فتذكر أنه كلما تنفس خرج الدم منه إلى الخارج فيصبغ ثيابه الرمادية المخضرة ويجعل لونها كلون الجلد . فمد يده عندئذ ، ولمس تلك الثياب الممزقة الدامية ، وتأكد مما وقع له ، فشعر بعرق بارد يتصبب عليه كما حدث له وهو طفل ، حيناً أمضى ليلة تحت وطأة حمى شديدة ؛ ثم كان لديه الوقت لينظر إلى الجهة التي اختفى فيها ضابطه ، ثم أدركه الموت .

تذكر هو نفسه هذه الوقائع لأنه وجد نفسه فجأة في مركز الشخص المتخني على جسد نفسه ، فإذا رأى عينيه الشاخصتين شعر بتأثر لذلك دون أن يجيش بالبكاء ، وشعر بأن أحزانه اليأس تتردد وتذهب كما يذهب صدى الصوت في تلك الغرف التي لا نهاية لها والتي تذكرها الأساطير . فظل طويلا يشعر بالشفقة على جثته الملقاة . أما الألم الذي شعر به وأدى به إلى الموت ، فقد تضاعف كثيراً ؛ وود لو يستطيع قطع يديه اللتين مرتا على الجرح بدافع حركة أخيرة عصبية . وما لبث أن فهم أنه انفصل عن هذا الجسد كما يطير اليراع الأزرق في ظلمة الليل . ولم يبق من ذلك الذي كان حيا غير طعم مشروب الكونياك ، ولكن ربما كان ذلك مجرد رائحة ، فلقد شرب منه كثيراً قبل ساعات ، وكان الفم لا يزال فاغراً . ولم يأت الليل فلقد كان الضوء الأول ذا لون رمادي كأنه انعكاس للثلوج . وصار كل مايمه هو الخوف من أن يفقد نفسه تدريجياً وجسمه ممدد متصلب ، قبل أن يأخذ في الانحلال . وبقي في هذا الانتظار الغريب وهو يستطيع أن يتذكر أشياء . ولكن لكي يفعل يجب أن يتمسك طويلا بجزء من جسمه . ولكن هذا العمل كان يتطلب تعباً ومجهوداً مضمياً وضائعاً . ولقد ساعدته يداه بأن يتذكر قصصاً من سنوات حياته الماضية ، فلم يعد يفهم لماذا تأخر هكذا طويلا في أن يتصل بامرأة . ولقد استطاع بتدبيره أن يرى كما يرى الجنى الصغير ، شوارع كبيرة وسلام وأرصعة ، وما في منزله من أثاث مرتب .

وأخيراً بقي كعين سحرية فوق جسده ، عين ضعيفة كأنها تفقد قوتها كلما زادت جثته تحطماً . على أنه استطاع أن يتذكر طويلا منظرًا تشبث به كأنه يدافع عن نفسه : فلقد سقط ثلج كثير ، وكان هو يجرحه في البطن ممدداً ، وعيناه مفتوحتان وثوبه العسكري الملطخ بالدم ملقى كأنه رجل يتعب في نوم عميق . ولكنه إذا كان قد صار لا يشعر باختلاف الليل والنهار فانه شعر بشمس ذلك الربيع التي كانت تأتي أن تبقى على بقاياها . وإذا الأمور تظهر فجأة كأنها مهزلة فظيعة وقد انفرجت شفتاه . وفي الضوء بدت عليهما ابتسامة كبيرة إلى أن تحولتا إلى قطعتين من اللحم الكريه بفعل الذباب ثم الديدان ، التي هربت بعد قليل بسقوط الأمطار .

ومع ذلك كان لا يزال يتملكه الخوف خشية أن يفقد نفسه . وكان خوفاً وحيداً

ضيقاً عندما يرى تلك الألوان الغريبة التي أخذ يتلون بها جسده . وانتظر أن يزول عند أول هبوب ريح قوية كتلك الأزهار التي يسميها الأطفال بالزعفران، وفي كل هذه الأحداث كان يرى أخيراً ذلك الجرح التي لم تعد اليدان المتبستان تلمسه ، وكان ذلك نهاية الجرح الذي نشأ عن قنبلة يدوية ، واستطاع أن يتذكر أنه في وقت ما عثر على شظية من هذا النوع ووضعها في حافظة أوراقه على سبيل التذكار .

وأخيراً ظهر في هذا الجزء النائي من الجبل رجال يحملون فؤوساً ومطارق ونقلات . وتقدم إليه أحد هؤلاء الرجال وبحث في سترته وأخرج منها حافظة الأوراق التي بدت له أنها مليئة . وجاء ضابط لفتحها وظل ينظر طويلاً في صورة خطيبته . وكانت رؤيته تتضاءل ، وأخذ يشعر بتعب شديد كالذي يأخذ الحارس الذي ينتظر بعد وقت طويل تغير الحراسة . وفي هذه المرة فقد وعيه دون أن يشعر بأى ألم ، ولكنه كان يسمع فقط وقع أول حفنة من التراب .

مفانوراً

نقلها عن الايطالية ح . ٢٠